مقدمة

يشغلنى التفكير فى المستقبل واتمنى ان تتسع دائرة المشتغلين به حتى تشمل المثقفين ، والمصريين جميعاً . .

ودائما افكر : لماذا ينشغل الناس فى دول العالم المتقدمة بالمستقبل ويخططون لعشر سنين ، وعشرين ، وخمسين سنة ، ونحن نتجاهل المستقبل ونضع لانفسنا شعارا خائباً لا اعرف من اى عصور الانحطاط تسرب الينا نردد فيه : « احينى اليوم وامتنى غدا » . مع ان الغد سوف يأتى ، وان كنا غير موجودين فيه ، فسوف يكون ابناؤنا ، واحفادنا فيه . . واذا لم نترك لهم بذورا غرسناها فى ايامنا ، فلن يجدوا ثمارا يعيشون عليها فى ايامهم . واشعر بالخوف من ان تسجل علينا الاجيال القادمة اننا لم نشعر بمسئوليتنا عنهم بدرجة كافية ، ولم نعمل من أجلهم كما ينبغى . .

وفى اوقات انطلاق الفكر والحلم اطيل التأمل فى حديث الرسول ﷺ الذى يأمر فيه المؤمنين بان يعملوا لدنياهم كأنهم يعيشون ابدا ، وان يعلموا لآخرتهم كأنهم يموتون غدا ، واجد فى هذا الامر حكمة بالغة ، هى جوهر الاسلام ، ليس دين رهبانية وزهد وانقطاع عن الدنيا بقدر ماهو دين بناء وتعمير واستنفار لقوى العمل فى الإنسان . . ولذلك لخص رسولنا الكريم الاسلام فى عبارات شديدة الدلالة لمن لديه بصيرة وادراك كافيين مثل : الدين المعاملة . . المسلم من سلم الناس من لسانه ويده . . المؤمن القوى خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . ، (والعلم والعقل والحضارة اولى

بأن تكون عناصر القوة . .) ولكنى اردد دائما ـ فى انبهار شديد ـ قول رسولنا الكريم : « اذا قامت القيامة وفى يد احدكم فسيلة (شتلة النخيل) فليزرعها» واتأمل كيف يكون حال الإنسان لحظة الهول العظيم ، يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى . . فى هذه اللحظة نزرع نخلة ، وهى أكثر الاشجار احتياجا لزمن طويل لكى تنمو وتثمر . . انها تحتاج إلى عشرات السنين ليأكل الناس من ثمرها . . وليس فى العمر الا جزءا من الثانية . . وربما اقل . . ونزرع . . نزرع نخلة . . ؟!

هل فهمتم عظمة الفكرة . .

الامر الالهى على لسان النبى المعصوم الذى لاينطق عن الهوى . . فكروا فى الغد . . اعملوا للمستقبل . . ضعوا بذرة الخير والرخاء حتى فى اللحظة التى ينعدم فيها الامل فى الحياة . . لان ربكم لايحب من يستسلم المسلم لليأس ، او يكف عن التفكير والعمل فى تعمير هذا الكون العظيم الذى خلقنا فيه لنعبده بالعمل . . نعم . . العمل عبادة .

هذه الفكرة المحورية تكمن وراء كثير مما كتبت من مقالات كنت أشرك القارىء معى فى التفكير فى المستقبل والبحث عن معالمه . . وبصراحة فاننى احب ان يصل الانشغال بالمستقبل الى درجة الهوس التى نلمسها فى ابناء شعبنا العربى مقرونة بالماضى . .

لماذا الماضى . . ؟

ربما لان العرب لهم ماض عظيم يمثل ثروة نادرة ومن حقهم ان يباهوا بها ويفاخروا ويظلوا ذاكرين لها . . وهذا حق . . ولكن من قال ان الماضى المضىء يمكن أن يغفر الحاضر المظلم . . وان الامة التى كانت صانعة

للعلوم والحضارة والتقدم فى قرون الاسلام الاولى هى ذاتها الغارقة الآن فى الجهل والتخلف بكل صوره . .

ربما لان المصريين لديهم رصيد يدعو اصحابه إلى الزهو . . وهذا حق . . اجدادهم منذ سبعة آلاف عام شيدوا صروحا مازالت رموزاً للتحدى والقوة . . وانشأوا علوما وكانوا هم الاوائل فى كل شىء تقريبا . . اول من بنوا الاهرامات وفقا لنظريات هندسية اثبتت القرون عبقريتها . . اول من وضعوا علوم الطب والرياضة والفلك والكيمياء . . اول من كتبوا الشعر والمسرح والقصص . . اول من وضعوا المرأة فى مكان من الاحترام والتقدير يجعلها تماماً مثالاً لما قاله رسولنا الكريم : « النساء شقائق الرجال ، لهن مثل الذى عليهن بالمعروف » . .

ربما . .

هناك اسباب كثيرة تدفعنا إلى الاعتزاز بماضينا . . وليس هناك عاقل يضحى برصيد الحضارة والتقدم والتفوق ، او بتاريخ طويل من الانتصارات . . نحن احفاد هؤلاء العظام : الفراعنة والعرب . . فلنرفع الرؤوس ولا ندع التواضع يخفى حقيقة الزهو الذى يملأنا . .

ولكن ماذا عن الحاضر . . وماذا عن المستقبل . . ؟

هل عادت علوم الفراعنة والعرب تصلح اليوم . . ؟

ابن الهيثم . . وابن سينا . . وابن ماجد . . والكندى . . والفارابى . . ومئات من امثالهم . . اعلام لها مكانها وافضالها فى التاريخ الانسانى . . اضافت . . وساهمت فى صنع حضارة عظيمة . . وخوفو . . ومينا . . وكهنة آمون من العلماء والحكماء قدموا للبشرية معجزات كبرى فى العلوم والحضارة . . ولكن الآن . . الحاضر . . ماذا نقدم نحن . . والمستقبل . . كيف سيكون حالنا فيه . . ؟

والحقيقة اننى كلما فكرت فى الحاضر شعرت بالالم ، لاننا ـ كما ارى ـ نستطيع ان نكون افضل مما نحن عليه . وكلما فكرت فى المستقبل شعرت بالخوف لانى ارى قومى يكادون لا يفكرون فيه . . ويدعون مشقة التفكير فيه للدول المتقدمة فى الغرب . . وهم يدركون ان التخلف يعنى التبعية حتماً . . ويدركون ان فقدان القدرة على التفكير والتخطيط للمستقبل يعنى فقدان القدرة على تسيير حياتنا وامتلاك زمام ارادتنا عندما يأتى هذا المستقبل . . اى اننا اذا لم نستيقظ من حالة النوم ، او الغيبوبة ، او الاستسلام لمرض استعادة امجاد الماضى والاكتفاء بها ، فسوف يؤدى بنا التخلف الحالى الى تخلف اشد ، وتبعية اشد ، وخطر اكبر . . علينا . . واكثر خطرا على ابنائنا . .

بودى احيانا ان اقف على قمة الهرم الاكبر واصيح : افيقوا عباد الله . . وفكروا فى حالكم اليوم . . وفيم سيكون عليه حالكم غدا وبعد غد . .

ولعل هذه المقالات التى كتبتها بدافع الحب لوطنى، والوفاء لاهلى والخوف على ابنائى . . ان تكون صيحة تجد صداها . .

ليس هذا مجرد امل فقط . . لكنه ايضاً دعاء إلى الله ان يحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى . . ويعملوا . . ويلحقوا بقطار الحضارة . . ولو فى آخر عربة . .

والله وحده القادر على كل شىء .

رجب البنا